



# الكلبي



مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

يصدرها:

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية  
جامعة ميدغوري

VOL. 3, NO. 1 (Jan. 2013)

## ALLAWH

Journal of Arabic & Islamic Studies

*Published By:*

THE DEPARTMENT OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES

UNIVERSITY OF MAIDUGURI

10. Kankawi, U.I. (2013) من ملامح النقد الأدبي الإسلامي عند الخليفة عمر بن الخطاب: (Islamic Literary Islamic Criticism of Khaleefat Umar Bin Khatab). *ALLAWH Journal of Arabic and Islamic Studies*. Vol 3, No.1, ISSN: 1595-5567, Pp. 14-29, Published by Department of Arabic & Islamic Studies, University of Maiduguri, Maiduguri, Borno State, Nigeria.

المجلد الثالث، العدد الأول، (يناير 2013م)

اللوحة: مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

## ملامح النقد الأدبي الإسلامي عند الخليفة عمر بن الخطاب



عثمان إدريس الكنكاوي

قسم اللغة العربية

كلية التربية كوارا، ولاية كوارا

uikankawi@yahoo.com

+2348033944825

مقدمة:

أنصف المؤلفون عمر بن الخطاب رضي الله عنه -الخليفة العظيم، فكتبوا عنه أسفاراً متنوعة تبرز سياسته الفذة في حل المعضلات وتوجيه الأمور وصفاء السيرة، كما فعل السيوطي في تاريخ الخلفاء والأستاذ زكي علي سويم ومشاركه في المطالعة الأزهرية<sup>(1)</sup>، ولم ينحصر عن هذا الشأن ذلك الخطيب العالمي الشيخ عبد الحميد كشك في بعض خطبه المنبرية الرائعة. والشيخ مناع خليل القطان في الحديث والثقافة الإسلامية<sup>(2)</sup>. والأستاذ محمود عباس العقاد في العبقريات الإسلامية<sup>(3)</sup> وقال عنه شاعر النيل في شعره القصصي والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم في "هدية جريدة صوت الأزهر"، ولكن الكثير منهم لم يتعرضوا إلى ما كان له - رضي الله عنه - من ذوق سليم في النقد الأدبي، ومكانته المرموقة في الشعر ونقده التي توحى وتم عن موهبته الأدبية والنقدية وتفهم مراميه، إلا ما انتشر في أمهات كتب الأدب عقده دون أن يظفر بمن يجمع شتاته في سلك خاص، فكانوا بذلك هم

عابئين بجوانب ما تعددت مواهبها، وتشعبت نواحيها لدى الخليفة عمر بن الخطاب في الصناعة الأدبية ونقده، فأصبحت في ذمة النسيان والخيول. وهذه المحاولة الأدبية ليست إلا نقطة يسيرة في تحريك أوتار القلوب لمعرفة آثار الخليفة عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنه-النقدية من صنعة أدبية رائعة، وعملية نقدية موضوعية على الأساس الاجتماعي والفني والموازنة.

فجعلت هيكل الورقة ثلاثي المباحث، قبلها مقدمة وبعدها خاتمة، والمبحث الأول تمهيدٌ وعرضٌ سريعٌ لدراسة أثر الإسلام في النقد الأدبي، والمبحث الثاني يوجي إلى معالجة ذاتية الخليفة عمر بن الخطاب وذوقه الأدبي، ويحتوي المبحث الثالث الذي هو حجر الزاوية لهذا البحث، على آثار الفاروق رضي الله عنه النقدية على الأساس الاجتماعي والفني والموازنة، والله ولي الهدي والتوفيق.

### المبحث الأول: أثر الإسلام في النقد الأدبي

بدأ النقد الأدبي في العصر الجاهلي مبيناً على الآراء والأحكام البسيطة المعتمدة على الذوق الفطري السليم والوجدان الشعري المرفه، وفيه شيء كثير من التعليل السليم والنظر السديد<sup>(4)</sup>.

وجاء الإسلام بنظامه الجديد البديع، ولم يفرط في الكتاب من شيء فتأثرت مفاهيم الأدب والنقد بالقيم الإسلامية التي أثرت تأثيراً بليغاً في الصحابة والتابعين لهم، حتى أصبحت الآراء النقدية المطمورة تُذكر وتُشكر وتتجلى على ضوء الكتاب والسنة. وقد شكلت هذه القيم معايير للنقد في هذا العصر الإسلامي مواكبة وانسجاماً مع طبيعة الدين الجديد.

فمن هذه الناحية نتحقق ما للإسلام من آثار محدودة وإمدادات غير عكسية في تطعيم وتثقيف النقد الأدبي بكل ما يرجى له من التعديلات على ضوء الكتاب والسنة. ثم توالت الحركات الأدبية الجديدة في العصر الأموي، ونشبت المعارك الأدبية. والنقد الأموي مبني على الذوق المهذب، وعلى سلامة الطبع، ورفعته، والانتصاف عن ذكر العلل والأسباب. فلعل النقد ومقاييسه واتجاهاته تبدو واضحة في العصر العباسي.

ويظهر في عصرنا الحديث اتجاهان للنقد: فالأول مؤسس على تراث نقدي قديم، والثاني مؤسس على التراث النقدي الحديث. وهما يبدو لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناقداً ووافته المنية وهو ناقد. ولقد أثر الإسلام تأثيراً ملموساً في النقد الأدبي من جميع النواحي الاجتماعية، والفنية، والموازنة.

### المبحث الثاني: ذاتية الخليفة عمر بن الخطاب وذوقه الأدبي

هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأول من سمي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من اتخذ الديوان، وأول من قال: أطال الله بقاءك، وأول من قال: أيّدك الله. وكان شديد الحب للشعر، الأمر الذي جعله يفترس في أصحابه فوجد عبد الله بن عباس يروي القصائد الجيدة وينتقد ما يعرض له من أبيات، فقرّبه واجتباها واصطفاه لنفسه خليلاً. وكثيراً ما اختلى به الساعات الطويلة يتناشداً ويتطارحان. وكذلك كان الفاروق على علم تام بشعراء عصره يستطلع أخبارهم ويستفسر عن أحوالهم، وربما ذكر له شاعرٌ فجعل يسأل عن معاشه وأوصافه الجسميّة والخلقيّة، كأنه يريد أن يفهم شعره على ضوء حياته حتى يكون نقده له أو عليه نقداً موضوعياً. وبما يدلّ على ذوقه الأدبي ومكانته المرموقة ما قاله محمد بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء". "ما غرض لابن الخطاب أمرٌ إلا واستشهد فيه بالشعر". والذي يملك مثل هذه الثروة الأدبية من القوافي لابد أن يكون ذا ولوع بالمعاني الجيدة والأساليب الرائعة، فهو ينظر فيما يسمعه نظرة الباحث الناقد، ثم يحفظ ما يروقه ويعجبه مستشهداً به في موضعه ومثلياً على صاحبه بما يستحق من تقدير.

ولعل أبلغ ما يدل على ذلك أن إسلامه كان نتيجة إعجابه بالبلاغة القرآنية، إذ أنه وفد على أخته ثائراً بهم أن يبطش بها حين أشرق عليها نور الإسلام، فهداه حسّه المزهق إلى آيات رائعة من كتاب الله يؤخذ بها عقله المفكر، وينفع به وجدانه الحساس، ويجد لها مذاقاً خاصاً يدفعه إلى الاستزادة ولما لمس نورها في عقله، ووجد حلاوتها في قلبه ذهب

من توه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد بلقاء العرب والعجم فأعلن إسلامه! وهكذا كان إيمان ابن الخطاب وليد سحر بياني يجمع إلى المنطق السديد ونصاعة القول ويغزو العقل براهينه كما يغزو العاطفة بروعته ذات القوة والتأثير.

ولقد شاع في الناس حبه للشعر وتأثره به أيما تأثر، فعمد كثير من أصحاب الحاجات إلى عرض مطالبهم عليه في أسلوب شعري، فكان يردهم أحسن رد. كشأن أمية ابن حرقان حين أنشد:

لما شيخان قد نشدا كلا<sup>٥</sup> \*\* كتاب الله لو قيل الكتابا

فإنك وابتغاء الأجر بعدى \*\* كباغي الماء يتبع السرابا

وكان لا يطوف في شارع أو زقاق ويسمع شعرا ينشد إلا وقف يستمع إليه حتى ينقطع الصوت. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قبل الإسلام، فأرسل المغيرة إلى الأغلب العجلي فاستنشد فقال: أرجزاً تريد أم قصيداً؟ لقد سألت هيناً موجوداً. ثم أرسل إلى لبيد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه يعني الجاهلية فعلت فقال: ألا تنشدني ما قلت في الإسلام، فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، فقال: أبذلتي الله عز وجل هذه في الإسلام مكان الشعر، فكتب المغيرة إلى عمر: انتقص عطائي أن أطعتك فرد عليه خمسمائة وأمر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة<sup>(5)</sup>.

ولعلنا عند الدراسة الأدبية الجادة لهذه العارضة نشم رائحة ما لعله ينفجر انفجاراً عاطفياً في أعماق ضائرتنا من التساؤلات:- ما الغاية في جمعه رضي الله عنه للأشعار ولما ذا أجزل العطاء للبيد؟

وما يوحى إلى ألمعيته المتوقدة أنه سمع رضي الله عنه أعرابية تنشد:

فمنهن من تسقى بعذب مبرد \*\* تفاح فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى بأخضر أجن \*\* أجاج ولولا خشية الله فرت

فعلم ما تريد الأعرابية، وبعث إلى زوجها فوجده متغير الفم فخره بين خمسمائة، أو جارية من النوى، على أن يطلق زوجته فاختر الدراهم وطلّقها، وهذان البيتان لا يدرك

مرماها إلا من له بصيرة عمر الفاروق وذكاؤه، ولو سمعها غيره لظنها شعرا ينشد وكفى، ولكن عمر بن الخطاب الأديب الناقد البصير يصل إلى مراد المرأة الأعرابية.

وروي من غير وجه أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مرّ بامرأة من نساء العرب مغلقاً علي نفسها الباب وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه \*\* وأزقي أن لا ضجيع لأعنبه<sup>(6)</sup>

فو الله لولا الله تخشى موكلاً \*\* لزحج من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيباً موكلاً \*\* بأنفسنا، لا يفتر الدهر كاتبه

وبت ألاهي غير بدع ملعن \*\* لطيف الحشا لا يحتويه مصاحبه

يلاعبني طوراً وطوراً كأنما \*\* يعاتبني في حبه وأعائبه

مخافة ربي، والحياء يصدني \*\* وأكرم بعلي أن تنال مراتبه<sup>(7)</sup>

فسأل عنها فقيل: إن زوجها غائب في جيش القتال من عام، فذهب إلى ابنته رضي الله عنها، وسألها كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقال: مائة وعشرين ليلة. فأمر أن يمكث المتزوج أربعة أشهر ويستبدل به غيره، وكتب كذلك إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر. ومن خير القدر المحبوب للخليفة الفاروق أنه كان ممن يشار إليه ببنان الكرامة لنبيله المجد الأدي في الساحة الأدبية. ولعل السبب الجوهري لذلك أنه عاش أديباً وتوفي أديباً. وقد كان رضي الله عنه يمتنى أن يموت شهيداً في مدينة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك. وكان طعنه في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة من السنة الثالثة والعشرين من الهجرة. ومات من هذه الطعنات فجهر ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة الأربع والعشرين مع رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر ياذن من عائشة، رضي الله عنها وعن أمهات أممات المؤمنين<sup>(8)</sup>.

### المبحث الثالث، آكار عمر بن الخطاب النقدية:

وللخليفة رضي الله نفاذ البصيرة، وانتباه حضور الذهن وسرعة الاستجابة للتأثيرات، والقدرة على رؤية الشيء كما هو في حقيقته، والتجرد من الميل إلى الهوى، أي

من الغرض الشخصي، والتعصب الثقافي والسياسي في حكمه على الآثار الأدبية. وإن لم يكن له الإطلاع الواسع على حقائق العلم والمعارف الإنسانية من فلسفة، وتاريخ، وطبيعة، واجتماع، وعلم النفس البشرية.

ولقد أظهر سيدنا عمر بن الخطاب عبقرية النقدية وصدق عليه اسمه الفاروق فيما له من النواذر الأدبية التي توحى إلى أن له قدماً راسخة وطول الباع في فن النقد الأدبي في صدر الإسلام.

هذا، وبإمعان النظر إلى آثاره رضي الله عنه النقدية نتحقق أن هذه الآثار والملاحم النقدية تتجلى وتتمثل في ثلاثة أسس، الأساس الاجتماعي، والفني، والموازنة. واليك عرض هذه الأسس الثلاثية بالترتيب.

#### آثاره رضي الله عنه النقدية على الأساس الاجتماعي:

كان انتماء الخليفة الفاروق النقدي لأنصار الفن للحياة، والأدب للمجتمع، وهم القائلون: إن الأديب مواطن، على عاتقه واجبات يقوم بها كأحد أفراد المجتمع الإنساني، (الإنسان والعالم)، ويعمل على تقدم البشرية وخيرها، ويحدد موقفه من مشكلات قومه ووطنه. فإن إتيان الأديب لعلمه الأدبي لا يكفي، وإن كان ضرورياً، وإنما يجب أن يكون واعياً لدوره في الحياة الإنسانية<sup>(9)</sup>.

ومهما يكن من الأمر فإن سيدنا عمر كان لا يعجبه من الآداب سوى ما تشم فيها رائحة الخدمة الاجتماعية، والمعلوم أن النقد في صدر الإسلام يتجه نحو هذا البين القيم (الإسلام) نورا ساطعاً يهدم كل ما هو جاهلي اللون ومظلم في شتى الحياة.

ولقد اقتفى عمر آثار الرسول (ص) في بناء نقده الأدبي على الأساس الاجتماعي ونراه يقدر ويستحسن كل ما يخدم المجتمع من الأعمال الأدبية ويستفح منها ما يهدم المجتمع فاستمع الآن لما يوحى.

كان من ملاحم النقد الأدبي عنده في إصلاح المجتمع المحقق، أنه رضي الله عنه انتقم من النعمان بن عدي الذي كان من السابقين في الإسلام ومن كان في مهاجري الحبشة مع أبيه، ثم ولّاه عمر على ممسان من نواحي البصرة فقاتل في الحمر شهراً منه:

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني \*\* ولا تسقني بالأصغر المتلثم  
 لعل أمير المؤمنين يسوئه \*\* تنادينا في الجوسق المتهدم  
 ولما سمع عمر هذا قال: نعم والله، إن ذلك يسوؤني، ثم عزله، فقدم النعمان إلى عمر  
 معتذراً يقول: والله يا أمير المؤمنين ما صنعت شيئاً مما بلغك أن قلت، ولكني كنت امرئ  
 شاعراً، فحضت فيما يخوض فيه الشعراء. فأبى عمر أن يستجيب له أو أن يقنع بما قال.  
 وأقسم ألا يجعله على عمل ما عاش<sup>(10)</sup>.  
 ولعل في هذه اللمة اليسيرة ما يكفي في إثبات أنه رضي الله عنه-كان ينقد على  
 نمط الترغيب عن الانحراف في السلوك والانهيار الاجتماعي حتى يكون الشاذون في مثل  
 هذا المجتمع قلة قليلة.  
 وعلق عمر رضي الله عنه-على سميم بن بني الحسحاس الذي كان من الشعراء،  
 اشتراه أحد أعمال عثمان بن عفان رضي الله عنه ليرسله إليه، وكتب إليه أنه اشترى له  
 غلاماً حبشياً يقول الشعر. فما إن شبع حتى أخذ يتغزل في النساء غزلاً فاحشاً، أدى به  
 وبالناس إلى أن يحرقوه بالنار حتى مات. وكان عمر قد حذره من تماديهِ في فحش الغزل  
 حين سمع قوله:

توسدني كفاً وتثني بمعصم \*\* علي وتحوي رجلها من وراثيا.  
 فقال عمر معلقاً عليه تعليقاً قديماً مبنياً على أساس الإصلاح الاجتماعي (ويلك إنك  
 مقتول)، وفي مثل هذه العبارة المنطوية فيها رأى الخليفة أنه لم يكن تقده للشاعر من ناحية  
 فنية ولا من غيرها، وإنما تأتي شررها من الكيان الاجتماعي<sup>(11)</sup>.  
 وحسبك أن الخطيئة كان يلقي منه على سلاطة لسانه وقبح هجوه-كلّ تسامح  
 محمود قد حبسه عمر رضي الله عنه حين هجا الزرقان بن منثور جدر: فنظم عدة أبيات  
 عاطفية يستميل بها قلبه ومنها:-

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ \*\* زغب الحواصل لا ماء ولا شجر  
 ألقيت كأسهم في قعر مظلمة \*\* فاعفر، عليك سلام الله يا عمر

فرق له عمر فأطلقه من سجنه وأعطاه دراهما كثيرة على ألا يتعرض لهجو المسلمين. ولربما من الجدير بنا أن نقطع خيوط الشكوك عن إيمان غيرنا أنه رضي الله عنه استغرق في عهده في الاسراف على الشعراء بل القصد الجوهرى في تقديره للشعراء إنما يكون من باب إماتة مفسدات المجتمع ورفعته إلى المستوى الصالح.

ويروى أنه كان يتنكر بالليل لا رهبة من الرعية، ولا رغبة إلى ما بأيديهم من الثروات، لكن ليعرف مجرى الأمور في البلاد بغية الإصلاح الاجتماعي حسب النظام النبوي المخطط. ولقد استطاع عمر في الأعمال الأدبية الشعرية التي قيلت في محضره أن يكسب عليها انكباب الناقد البصير، ويستهي منها ما يسهم في خدمة المجتمع كما يستهجن ما سواه. وكان يظهر افتتانه الفائق في تأويل بعض الأشعار لمقرضها رداء عما تغرسها من العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع. وفي حديثه مع النجاشي ما يشير إلى ذلك فقد كان بنو العجلان يفتخرون بهذا الاسم، لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف إلى أن هجأهم النجاشي فضجروا وسبوا به، واستعدوا عليه عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا أبشع هجاء، فقال: ماذا قال؟ فأنشدوه:

إذا الله عاد أهل لؤم ورقة \*\* فعادى بني العجلان رهط بن مقبل  
فقال عمر: إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب، فقالوا إنه قال:

قبيلته لا يغدرون بذمة \*\* ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر: وما في ذلك؟ هذا أقل للرحام، قالوا إنه قال:

تعاق الكلاب الضاريات لحومهم \*\* وتألك من كعب بن عوف ونهل

فقال عمر: كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه، قالوا فإنه قال:

وما سمي العجلان إلا لقولهم \*\* خذ العقب واحلب أيا العبد وأعجل

فقال عمر: كلنا عبد وسيد القوم خادهم. فهذه الأبيات كلها سب صريح وهجاء لاذع كان عمر لا يخفى عليه ما تضمنته من الفتنة يمكن أن توقع العداوة والبغضاء في القبائل، وتسلب من المجتمع أمنه، ولكنه رضا الله عليه - يتجه بها نحو التأويل الأدبي تنعكس عليه مرة نقده الأدبي على الأساس الاجتماعي وتنم على أنه باقة المعنى في مضمار الأدب والنقد<sup>(12)</sup>.

ويلاحظ فيما يقدم أنه استقبح شعر أمية بن الصلت في رثاء قتلى بدر لميله إلى الباطل، وكما امتنع عن قضاء حاجة أبي شجرة بن الحنساء السلمي لهجوه المسلمين، والهجاء في ذاته ضلال إن لم يصحبه الحق والبرهان، ولي في هذا المعنى بيت شعري:

إن الهجاء ضلالٌ ويل قائله \*\* إن لم يؤيده برهانٌ وفرقانٌ

وهذا لا يدل على أن عمر لا يستحسن شيئاً من فن الهجاء الذي كان في العهد النبوي كسلاح للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

يقول الدكتور عبد الحليم حفني في كتابه (الشعراء المخضرون) "ومن التأثير النفسي للشعر ما عبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع هند بنت عتبة ترتجز ببعض الشعر بعد انتصار المشركين في أحد، شامته في المسلمين، متشفية بقتل حمزة رضي الله عنه وتمثيلها به فقال: عمر بعد ذلك لحسان بن ثابت: لو سمعت يا ابن الفريسة ما تقول هند، ورأيت أشرها على صخرة ترتجزين. وتذكر ما صنعت بحمزة: قال حسان اسمعني بعض قولها أكفكوها، فأنشده عمر بعض ما قالت، فهجاها حسان بشعر منه:

أشرت لكاع وكان عادتها \*\* لوأماً إذا أشرت مع الكفر<sup>(13)</sup>

ولا يخفى على من له إلمام بالكتب الأدبية أنه رضي الله عنه كان يستهجن شعر أبي محجن الثقفي الذي كان من أبرز فرسان العرب وشجعانهم، وكاد يكرر عليه الحد لقوله في الخمر وشرها، ولقد قال حين جلد ذات مرة شعراً:

وإني لنو صبر وقد مات إخوتي \*\* وليست على الصباء يوماً بصابر

وشأن عمر في هذا لم يكن لشيء سوى أنه يعتبره هو وشعره من الذين يفسدون ولا يصلحون في المجتمع الإنساني البشري.

**آثاره رضي الله عنه النقدية على الأساس الفني:**

شاء القدر فأتاح لابن الخطاب أن كانت له الموافقات التعبيرية، ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر، وكان أقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي خاتم عبد الرحمن بن أبي ليلى. أن يهودياً لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم

(محمد) عدونا. وقال عمر: من كان عدواً لله وملأته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين.

فنزلت الآية حسب تعبير عمر الكلامي.

وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلي، فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي)، واجتمع نساء النبي عليه الصلاة والسلام في الفيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك، وكما أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس. قال: قال عمر: نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ولما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين)، وكذلك لما أكثر الرسول عليه الصلاة والسلام من الاستغفار لقوم قال عمر: سواء عليهم، فأنزل الله (سواء عليهم استغفرت لهم) (١٤)

والسر الحقيقي في إيرادنا لهذه الموافقات التعبيرية هو الإشارة العابرة عن مستوى أي حفص الفني في التعبير الصحيح الذي كان موافق العرض السباوي والوحي الأبدى، ولعل مكانته الشاحنة في ملكة التعبير الفني هو العامل القوي المؤثر في بناء شخصيته النقدية حتى سجلت له أممات الكتب الأدبية بعض النوادر الأدبية والنقدية المبقية على الأساس الفني. والباحث يعتقد أن الكتاب والسنة كانا هما المرجع الوحيد لبناء وترويض الخليفة الثاني واقتناؤه هذه الموهبة المخبوطة الفائقة.

فأول ما يلاحظ في هذا الصدد هو ما أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء يقول: (وأخرج ابن عساکر عن معاوية بن قره قال: كان يكتب (من أبي بكر خليفة رسول الله)، ولما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا: خليفة خليفة رسول الله، قال عمر: هذا يطول: قالوا: لا، ولكننا أمرناك علينا، فأنت أميرنا، قال: نعم، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فكتب أمير المؤمنين.

فمن الممكن أن نلاحظ أن هذا اللون النقدي يعتمد كل الاعتماد على الأساس الفني حيث كان عمر يبدى ملاحظاته في إطالة التراكيب، والذي أطلق عليه البلاغيون بالإطناب الفاخش.

ومن هذا القبيل تحريم سيدنا عمر بن الخطاب عبد الحساس جائزته لما ورد منه قوله:

عميرة ودع أن تجهزت غاديا \*\* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا  
فقال له عمر: لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزيتك<sup>(15)</sup>.

وحقيقة أن عمر يؤدبه بحرمانه الجائزة بمجرد إفراطه في التقديم والتأخير وبالعكس. وكان عمر بن الخطاب شديد التعليق على الذوق النقدي، فترى النقاد من بعده قد أفاضوا في الحديث عن ملاحظاته إفاضات طويلة كانت لها عوائدها في الدراسات النقدية، ويسمون لها الحدود ويناقشونها مناقشة المستنيطين من آرائه أراء.

وقد أفادتنا الكتب الأدبية أن عمر بن الخطاب قال لابن عباس رضي الله عنهما: أنشدني لشاعر الشعراء، قلت يا أمير المؤمنين ومن هو؟ قال: ابن أبي سلمى، قلت وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظم في المنطق ولا يقول إلا بما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه. فقيمة هذا الحكم لا يأتي من أنه صدر من خليفة المسلمين الذي يهابه الناس، وإنما أتى من جمال التفضيل ودقة النظر مما يدل على نظرة صاحبه الثاقبة، وبصيرته النقدية التي مكنت النقاد والبلاغيين من استنباط الأسس والمقاييس النقدية<sup>(16)</sup>.

ولو أردنا أن نضع الحق في نصابه أمام الناس نتحقق أن في سالف القول ملاحظات تسند إليه نقدية جارية على الأساس الفني.

وقيل أن عمر قام مرة يصلي فوجد رجلاً قصير القامة أعور متنكباً قوساً وبه هرواة فقال له: أنت متم بن نويرة؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين، فقال: هكذا وصفت لي، فأأنشدني مرثيتك في مالك أخيك، فأخذ ينشده حتى وصل إلى قوله:

وكنا كندمانى حذيمة حقة \*\* من الدهر حتى قيل: أن يتصدعا  
ولما تفرقنا كاني ومالكا \*\* على طول وصل لم نبت ليلة معا

فقال عمر: والله هذا هو التأين، ولَوَدِدْتُ أن أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك، فقال مقيم: لو أن أخي يا أمير المؤمنين مات على ما مات عليه أخوك من الإيمان ما رثيته فقال عمر: (ما عزاني أحد من أخي بمثل ما عزاني به مقيم). ونحن لو نقشنا مرثي مقيم هذا، ما وجدنا أحسن من البيتين اللذين وقف عندهما الفاروق، وفي ذلك الدليل القوي على سلامة ذوقه ودقة شعوره بمعاني الكلام وجماله الفني تتلأح لها العاطفة في أعماق سامعيه.

#### آثاره رضي الله عنه-النقدية على أساس الموازنة:

هذا، فإننا عند وضع الحقيقة في نصايها نرى أن عملية الموازنة الأدبية ليست من استطاعة من لم يكن له حس نقدي أصيل مدرب في ممارسة الأعمال الأدبية والنقدية. ولا تهيأ لأحد سوى من له حظاً عظيماً من التوفيق والإبداع. وقد توغل عمر رضي الله عنه في غياهب هذا العمل النقدي، وأظهر فيه مهارته الفذة بالأساليب المرنّة، إذ قال عمر: يا ابن عباس، ألا تنشدني لشاعر الشعراء؟ قلت ومن شاعر الشعراء قال: زهير، فقلت لم صيرته كذلك؟ قال (لأنه لا يعاظم بين الكلامين، ولا يتبع الوحشي، ولا يمدح أحد بغير ما هو فيه). فعمر الفاروق يفضل زهيراً على من عداه مبيّناً أوجه التفضيل، وهي سنة وطريقة في النقد، إذ كان من قبل عمر من الثروة متى نقدوا شعراً قالوا إنه برود يمنية تطوى وتنشر، أو قالوا إنه سمط الدهر، أو قالوا إنه مزاد لا يقطر منه شيء، إلى آخر هذه التشبيهات المجملّة التي لا تفصل حكماً ولا تعلل رأياً. فجاء عمر في نقده على أساس الموازنة بالتفصيل الواضح والتعليل المقبول المحكم. وليس من الغريب أن يخالف الفاروق ما أجمع عليه أكثر أئمة النقد في الأدب، فيفضل زهيراً على امرئ القيس حينما يفضل الإمام على امرئ القيس على غيره. وهذا الاختلاف محمود يستحسنه النقد لأنه قائم على الرؤية الصحيحة بدون التقليد الأعمى. وعمر الفاروق كان يسبر الشعر بعقله فلا يعجبه منه إلا ما جاء متمشياً مع المنطق السليم، فكان نبيل الغرض رائع الحكمة. وزهير حكيم قد يزن الأشياء بميزانها العاقل، فلا يفحش في

غزله، ولا يتعابث في مضامينه بل يسوق الحكمة تلو الحكمة رائعة ساطعة تجذب إليه كـ  
مفكر حصيف، أما امرئ القيس مثلاً، فلا نظن عمر يرضى عنه، وجل شعره في مغارة  
الحسان، ومعاقرة الخمر، والاسترسال مع الصبوة إلى أبعد شوط، وهي أغراض لا يشر  
لها الحكماء من قادة الرأي كعمر بن الخطاب، سمع مرة قول زهير:

فإن الحق مقطعة ثلاث \*\* يمين أو نثار أو جلاء

فأخذ يحرك رأسه في عجب. ويقول في تبسّم: إنما أراد أن يبين أن مقطع الحق  
أو حكومة أو دية كما جاء به الإسلام.  
هذا التدقيق المتواصل في شعر زهير جعل الفاروق يكرر إعجابه، ولا يتحدث

في حماسة وإيثار.

ودخل على عمر أحد أولاد هرم بن سنان ممدوح زهير فسأله من أنت؟ فقال:  
ابن هرم بن سنان فقال عمر: صاحب زهير قال: نعم، قال عمر: أما إنه كان يقول بك  
فيجسن؟ فقال الابن: كذلك كنا نعطي فنجزل، فتبسّم عمر ... وقال قولته الصادقة: ذهب  
ما أعطيتوه وبقي ما أعطاكم<sup>(17)</sup>.

ولقد كان النابغة الذبياني يلي زهير في المنزلة لدى الفاروق، لأن النابغة أقرب إلى  
زهير منه إلى امرئ القيس، إذ كان متمدن التفكير، شريف الغرض، وإعجاب عمر به  
إلى ما سمع من أبياته التي تنحو منحى زهير في المنطق والسداد. ولما لقي عمر بن الخطاب  
وفد غطفان فقال: أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت ولم أترك لنفسك رية \*\* وليس وراء الله للمرء مذهب

فقالوا: النابغة، قال فمن القائل:

فإنك كالليل الذي هو مدركي \*\* وإن خلت إن المنتأى عنك واسع

فقالوا: النابغة، فقال فمن القائل:

أنتك حارياً خلقاً ثيابي \*\* على وجل تظن به الظنون

فقالوا: النابغة، قل: ذلك أشعر شعرائكم.

وأذن فزهير عنده شاعر الشعراء، أما النابغة فهو شاعر غطفان. وطبعي أن يكون عمر مع هذا النظر الثاقب في الشعر قادراً على أن يزن الإنتاجات الأدبية بميزان الحق والبرهان.

#### الخاتمة:

لا شك أن غاية الإسلام في النقد هو أن يضع في بال الناقد القصد من الانتقاد، وهو التوجيه إلى تدارك الخطأ لتلافي النقص وبناء ورسم القيم العليا للحياة من العلم والفن والأدب. فليس للنقد العشوائي والانهياري والشيطاني مجال في مسرح النقد الإسلامي.

وكانت ذاتية سيدنا عمر الفاروق سعادة كبرى في تحريك فن النقد العربي في صدر الإسلام، وتطعيمه بآراء محكمة واتجاهات مثقفة أصبحت فيما بعد مرجعاً نقدياً معتمداً عليه تُذكر وتُشكر، وتستنبط منها قواعد أساسية تتساجل بها أفواه أئمة النقد في أمهات كتبهم النقدية، أمثال محمد بن سلام الجمحي في "طبقات فحول الشعراء" وابن قتيبة في "الشعر والشعراء" والجاحظ في "البيان والتبيين" وغيرهم.<sup>(18)</sup>

هذا، فإن كان الشأن النقدي عنده مبنياً على الاتجاه الديني الذي يجعله أن يكون اعتقادي النوع بعيداً عن الأهواء، ومتمشياً على الأساس الاجتماعي والفني والموازنة. ولعل منشأ ذلك يرجع إلى تأثيره القوي بالإسلام الذي يتمثل في شتى مجالات الحياة. ومن الحق أنه رضي الله عنه ليس هو الوحيد من الصحابة الذين شاركوا وأفادوا في ميدان النقد الأدبي العربي.

وقد يكون غيري ومن له شأن في تتبع الآثار النقدية أن يفضل الفاروق على غيره من أعلام الصحابة والمجال في ذلك واسع.

وأكبر أمل في هذا البحث الأكاديمي المتواضع هو أن يسعى نقدة الأدب العربي في دراسة الجوانب الأدبية والنقدية لدي الصحابة الكرام لاسيما عمر الفاروق والأمام علي رضي الله عنهم جميعاً. والله در القائل:

لا أقصر القول عن شخص أعز به \*\* الله محمد والإسلام في الأمم  
ثاني الخليفة، في تعبيره الأدبي \*\* يوافق الله رب العلم والقلم  
فابن الخطاب فريد في بلاغته \*\* ونقده جوهري النوع في الكلم  
والنقد لو لم يكن في شرعة الأزل \*\* لما توغل فيه "العمر" بالكرم<sup>(19)</sup>  
قل إنه لشريف الحكم أجمله \*\* في الانتقاد على منهاج محتكم

### الهوامش

- 1- زكي، علي سويم وآخرون، 1993م، المطالعة الأثرية، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ص 122.
- 2- من منشورات وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، 1987م، ط 6، ص 67.
- 3- ولعله من الإنصاف، أن لا يميلنا عن كتابه انتقاد الشيخ الشعراوي له في بعض فتاويه اللغوية الفجة.
- 4- صفاء خلوصي وآخرون، 1974م، النقد الأدبي وموازن الشعر، ط 1، مطبعة الأزهر، ص 19.
- 5- صحيفة العالم الإسلامي، مقالة بعنوان: "رسالة في الأدب الإسلامي"، للأستاذ محمد الحسيني السحري، العدد 1667، 15 سبتمبر 2000م، ص 9.
- 6- مجلة الفرقان، العدد 136، 19 مارس 2001م، ص 22.
- 7- البيومي، نقد الأدب العربي، ص 57.
- 8- السيوطي، الحافظ جلال الدين، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 135.
- 9- محمد بكر إسماعيل، 2000م رجال أجمعهم الرسول وبشرهم بالجنة، دار المنار، القاهرة ص 15-52.
- 10- صفاء خلوصي وآخرون، المرجع السابق، ص 6.
- 11- أغاكا، عبد الباقي شعيب، أثر الإسلام في النقد العربي: مقالة نشرت في ندوة شعبة العربية بجامعة عمان بن فودي، صكتو، 1985.
- 12- سيرة ابن هشام 3-284: اقتبس الدكتور عبد الحليم حنفي في كتابه: الشعراء المخضرمون.
- 13- نفس المرجع، ص 80.
- 14- البيومي، المرجع السابق، ص 45-55.
- 15- حنفي، عبد الحليم، المخضرمون من الشعراء، ص 266-267.

- 16- السيوطي، المرجع السابق، ص 114 – 115.
- 17- بدوي طبانة، بدون تاريخ؛ دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 76.
- 18- الجاحظ، أبو عثمان بن حجر، الحيوان، ص 328، ج 1، مطبعة مصطفى بابا الحلبي تحقيق وشرح عبد السلام هارون.
- 19- الكنكاوي، عثمان إدريس، ديوان الكنكاوي، مخطوط، ص 47.